



يعد وادي زازا (جازا) من أهم مواقع النقوش الصخرية التي ترجع إلى عصور ماقبل التاريخ في شرق ليبيا ، هذه النقوش التي جسدت على جدران كهفين كشف عن أحدهما في عام 1972 والآخر عام 1990 بواسطة مكتب آثار العقورية في وادي زازا الذي يقع على مسافة حوالي 60كم للشرق من مدينة بنغازي ، إلى الجنوب من قرية المبني وبرسس ويمكن الوصول إليه عبر طريق يمتد إلى الجنوب من القريتين. وتنتشر على جانبي هذا الوادي - الذي يمتد بطول 120كم - عدة كهوف صخرية كانت مجالا لنشاط الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ وخلال العصور التاريخية القديمة ، ويحتاج الوادي إلى أعمال مسح ودراسة أثرية شاملة حتى يتبين حضارة هذا الوادي والأودية الأخرى بالجبل الأخضر التي كانت مقرا لحضارة الإنسان الليبي عبر عصوره المختلفة. وسيكون الحديث عن كهفين من كهوف هذا الوادي عثر بهما على نقوش صخرية وبقايا أخرى.

كهف الطيور و كهف النعامة

في وادي زازا

أ. خالد محمد الهدار

يقع الكهف الأول على الجانب الشرقي من الوادي في مكان مرتفع يمكن الوصول إليه بواسطة التسلق من قعر الوادي ، و يتكون الكهف من تجويفين إحدهما على يسار المدخل وهو أقل عمقا من التجويف الآخر على يمين المدخل ، ويلاحظ وجود كوات منحوتة في جدرانه ، عرف هذا المكان باسم كهف الطيور أو حجف القطارة ، والتسمية الأولى يبدو أنها بسبب رسوم الطيور التي نقشت على جدران الكهف . وأول زيارة علمية للكهف قامت بها أستاذة النقوش جويس رينولدز عام 1974 برفقة أ. عبدالحميد عبدالسيد وملاحظ مكتب آثار توكرة آنذاك بغرض معاينة الكهف و لاسيما النقوش الإغريقية التي كانت منقوشة إلى جانب الرسوم الصخرية ، ولم تنشر نتائج تلك الزيارة إلا في عام 1997في العدد الثالث من السلسلة الجديدة من مجلة عريبا القديمة (ليبيا القديمة) ص. 50-47و يوجد بمكتب آثار العقورية تقرير عن تلك الزيارة استفاد منه أ. سعد بوحجر عندما قام بدراسة الرسوم الصخرية في ذلك الكهف في رسالته للماجستير.

تركزت النقوش الصخرية على جدران الكهف وسقفه ، وقد تمثلت في مجموعة من الطيور ذات المناقير الطويلة وقد نقشت بأشكال مختلفة بعضها رسم بشكل مقلوب ، لعلها تمثل طائر الحجل ، وهناك أشكال طيور أخرى غير واضحة نقشت في أماكن مختلفة من الكهف ، إلا أن أبرز الحيوانات المنقوشة غزال على سقف التجويف الأيسر، أما عن تاريخ هذه النقوش فإنه قبل موت تشارلز ماكبرني رائد دراسات ماقبل التاريخ في ليبيا شاهد صور تلك النقوش الصخرية و نسبها إلى أسلوب الحضارة أو الثقافة القفصية التي بدأت في بداية الألف الخامس ق.م.، وبصورة عامة ترجع إلى عصر الرعي أو الرعاة .

أما النقوش الكتابية الإغريقية فقد حصرتها رينولدز في 12مجموعة نقشت بشكل رديء إلى جانب الطيور والغزال ، يلاحظ أن غالبية تلك الكتابات تمثل أسماء معظمها أغريقي مثل كاليماخوس و ديديموس و أريماس و خاريلاس ، بعضها ذات أصل لاتيني مثل بوبليوس و بروكلوس ، وبعضها قد يكون أصله ليبيا مثل اديداس ، هذه الأسماء نقشت بأيدٍ مختلفة أقدمها يرجع إلى القرن الثالث ق.م. وبعضها يرجع إلى العصر الروماني ، ربما نقشت لأسباب دينية حيث لايوجد دليل علي أن الكهف قد استعمل للسكن أو للدفن ، وعلى خلاف ذلك ربما كان الكهف مكانا للتعبد على غرار كهوف صخرية أخرى انتشرت في الجبل الأخضر مثل كهوف وادي بلغدير في شحات و كهوف المحاريث وحقفة الخزاعلية في وادي صنب والتي وجدت بها أدلة تربطها بمعتقدات الليبيين ، وفي كهف الطيور وجدت إشارة إلى مؤله ليبي يسمى جوبا Gobbaربما كانت تقدم إليه التقدمات والقرابين في هذا الكهف ، ومما يؤكد هذا وجود عبارات تشير إلى النذور والصلاة والتعبد على جدران الكهف ، أما لماذا كتبت الكلمات بالإغريقية فيبدو أن المتعبدين في هذا الكهف كانوا من السكان الليبيين القاطنين في هذه المنطقة أو قرب منها ، والذين أخذوا بعادات الإغريق و لغتهم .

أما الكهف الثاني الذي يقع على الجانب الغربي للوادي وعلى ارتفاع شاهق ، إلى الشمال من السد المقام في هذا الوادي ، وقد اكتشف من ناحية أثرية في 1990/7/22 عندما كان كاتب المقالة أمينا لمكتب آثار العقورية يقوم برفقة الباحث بمراقبة آثار بنغازي آنذاك أ. سعد أبوحجر بالبحث عن كهف الطيور لتوثيقه فقادتهما الصدفة إلى اكتشاف كهف آخر مملوء بالنقوش الصخرية ، قاما بزيارته أكثر من مرة لتوثيق الأعمال الفنية المنقوشة على جدرانه وأخذ أبعاده ، هذه الأعمال التي كانت الركيزة التي استند عليه أ. بوحجر في رسالته للماجستير التي شملت دراسة الكهف ونقوشه وتحليلها ، كما قام فريق من مراقبة آثار بنغازي بزيارة للكهف في شهر يناير 2010وقاموا بتصوير نقوشه ، والصور المنشورة هنا هي جزء من الصور التي التقطها مصور المراقبة طارق تيكه لكهف النعامة.



أطلق المكتشفان تسمية " كهف النعامة " على هذا الكهف بسبب وجود رسم منقوش كبير الحجم لطائر النعامة ، وهذا أول ظهور للنعامة في نقوش ما قبل التاريخ في شرق ليبيا. وقد جسدت النقوش على الجدار المقابل للمدخل ، ولم توجد أي نقوش على السقف ، ويبدو أن هذا الموقع استغل في العصر الإغريقي و الروماني يستدل على ذلك من خلال انتشار شقف فخارية أمام الكهف إضافة إلى وجود صهريج مبطن بجانب الكهف ربما استغل للتخزين.

ويلاحظ أن نقوش هذا الكهف أكثر وضوحا وحفظا من نقوش الكهف الأول ، كما أنها تتميز بكبر حجمها ولاسيما المجموعة الأقدم حيث يوجد بالكهف نقوش ترجع إلى فترتين حضارتين ، الأقدم التي ربما ترجع إلى عصر الرعي أو الرعاة وإلى الحضارة القفصية أو أقدم من ذلك وتمثلت نقوشها في حيوانات متنوعة من بينها نعامة تعدو باتجاه اليسار، وهناك بقرة خلفها عجل يركض نحوها ، ومشهد بقرة أخرى ، إضافة إلى ثلاثة غزلان أحدها صغير ، يلاحظ وجود بعض الطيور وحيوانات أخرى منقوشة ولكنها غير واضحة ، وقد ظهرت هذه الحيوانات في مشاهد متنوعة أغلبها متحركة وليست ثابتة، ويمكن مقارنتها بالرسوم الصخرية في منطقة الأكاكاوس وغيرها من مواقع الفن الصخري في ليبيا.

أما النقوش الصخرية الأحدث زمنا فهي أقل عددا وأصغر حجما وأسلوب تنفيذها مختلف ، وأقل حرفية مقارنة بالرسوم المنقوشة الأقدم ، وقد نقشت أسفل المجموعة الأولى ، ومن مشاهد هذه المجموعة حصان عليه سرج ، وكلب ، وذئب و رسم لجندي يحمل سيفا وترسا ، ويعد هذا الرسم أول ظهور للأشكال الآدمية في الرسوم الصخرية في شرق ليبيا ، ومن خلال الأسلوب الفني وتحديدا رسم الأشكال بالطريقة الظلية الحالية من التفاصيل التشريحية يبدو أن تاريخها يرجع إلى ما يعرف بفترة الحصان التي بدأت منذ منتصف الألف الثانى ق.م.